القسم الرابع

وصايا تنعرية

١. وصية الشاعر سابق البربري لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز .
٢. قطوف من قصيدة عنوان الحكم - للإمام أبي الفتح البستي .
٣. وصية الإمام أبي إسحاق الإلبيري لولده .
٤. وصية الشاعر الحصري لنفسه .
٥. مختارات من قصيدة الإمام ابن الوردي .
٦. وصية الإمام السبكي لولده .
٧. من بدائع وصايا الإمام ابن القيم .
٨. درر الحكم والوصايا للشاعر أحمد شوقي .

obeikandl.com

: W

الشعر وسيلة فعالة في التأثير والإقناع وإيصال الفكرة إلى المستمعين، لما له من وقع خاص يؤثر في أعماق النفس ويهز القلب، وبخاصة إذا صدر من قلب مخلص، واتسم بالقوة في النظم، والدقة في التعبير، والجمال في الأسلوب البياني.

وقد بين الرسول ﷺ أهمية الشعر في تزكية النفس في أحاديث عدة، منها ما رواه البخاري وغيره عن أبيّ بن كعب t أن رسول الله ﷺ قال: (إن من الشعر حكمة)[١٩٦]، وفي رواية لأبي داود : (وإنَّ من البيان سحراً) [١٩٧].

فالشعر الحسن يقوّي حجة صاحبه، ويزيد الحق وضوحاً وجلاء، وينشط الهمة والعزيمة للمبادرة للخيرات.

ولقد ثبت عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يرتجزون الشعر في مجالات عديدة، وبخاصة في المواطن التي تحتاج إلى شحذ همة النفس على البذل وتقوية تحملها للصعاب.

* ومن ذلك ما رواه البخاري عن سلمة بن الأكوع t قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر، فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع،ألا تسمعنا من هنيهاتك؟

قال : وكان عامر رجلاً شاعراً، فنزل يحدو بالقوم يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداءً لك ما اقتفينا وثبِّت الأقدام إن لاقينا

وألقِيَنْ سكينةً علينا

إنا إذا صِيحَ بنا أتينا وبالصياح عَوَّلوا علينا

(١٩٦) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب مايجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، رقم/٥٧٩٣.

(١٩٧) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في الشعر، رقم/ ٥٠١١ .

openkamal.com

فقال رسول الله ﷺ : من هذا السائق؟ قالوا : عامر بن الأكوع.

فقال : يرحمه الله)[١٩٨].

ولذلك استخدم كثير من علماء السلف الشعر وسيلة لوعظ النفس والدعوة إلى مكارم الأخلاق، ومن أبرز هؤلاء الإمام الشافعي رحمه الله الذي تُعدُّ أشعاره من بدائع الحكم مع انصرافه إلى العلم واشتغاله بالفقه، وقد حفلت كتب التراجم والأدب والرقائق بالنفائس من شعره، ومن ذلك قوله:

يا واعظ الناس عما أنت فاعله ... يا من يُعدُّ عليه العمر بالنَفَس

احفظ لشيبك مِنْ عيب يدنِّسه ... إن البياض قليلُ الحمل للدنس

كحاملٍ لثيابِ الناس يغسلها ... وثوبه غارق في الرجس والنجس

تبغي النجاة ولم تسلك طريقتها ... إن السفينة لا تجري على اليبس

ركوبك النعش يُنسيك الركوب على ... ما كنت تركب من بغل ومن فَرَس

يوم القيامة لا مالٌ ولا ولَدٌ ... وضمَّة القبر تُنسي ليلة العرس[١٩٩]

* وذكر الإمام ابن كثير أن الواعظ أبا عثمان المنتخب ابن أبي محمد الواسطي - وكان من كبار الصالحين - أنشد نور الدين محمود زنكي أبياتاً يعظه فيها، ومن جملة ما قال :

مثِّل وقوفك أيها المغرور ... يومَ القيامة والسماء تمورُ

إن قيل نور الدين رحت مُسلِّماً ... فاحذر بأن تبقى ومالك نورُ

أرضيت أن يحظى سواك بقربه ... أبداً وأنت مُعذَّب مهجور؟

مَهِّدْ لنفسك حجةً تنجو بها ... يوم المعاد ويوم تبدو العُور

فلما سمع نور الدين هذه الأبيات بكى بكاء شديداً[٢٠٠].

---

(١٩٨) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب مايجوز من الشعر والرجز، رقم ٥٧٩٦ .

(١٩٩) ديوان الإمام الشافعي – جمع وتعليق : محمد عفيف الزعبي – ص/ ٥٢ .

(٢٠٠) البداية والنهاية، لابن كثير - ١٢/ ٢٨٢.

وهكذا تقرع المواعظ والوصايا قلب المؤمن وتؤثر في نفسه، وبخاصة إذا كانت في قالب شعري جميل صادق، تربط العبد باليوم الآخر، وتدعو إلى تزكية النفس، وتحث على فضائل الأعمال[٢٠١].

* ومن بدائع وصايا الشعراء قول أبي العتاهية رحمه الله يوصي ولده :

اسلك بُنَي مناهجَ السادات ... وتخلقنَّ بأشرف العاداتِ

لا تلهينك عن معادكَ لذةٌ ... تفنى، وتورث دائم الحسراتِ

أقم الصلاة لوقتها بشروطها ... فمن الضلال تفاوت الميقاتِ

وإذا اتسعتَ برزق ربك فاتخذ ... منه الأجلَّ لأوجه الصدقاتِ

في الأقربين وفي الأباعد تارة ... إن الزكاة قرينةُ الصلواتِ

وارعَ الجوار لأهله متورِّعاً ... بقضاء ما طلبوا من الحاجاتِ

واخفض جناحك إنْ مُنحتَ إمارةً ... وارغب بنفسك عن ردى اللذاتِ[٢٠٢]

فتأمل كيف تنساب هذه الوصايا عذبةً في النفوس، ويزداد التأثر بها مع تكرارها وحفظها من قبل الأبناء، لتكون دافعاً لهم إلى التسابق في الخيرات والبعد عن المعاصي والموبقات.

وإليك أخي القارئ نماذج من الوصايا الشعرية من الآباء للأبناء، ومن المربين والمعلمين لتلاميذهم وجلسائهم.

(٢٠١)ينظر : منهج الإسلام في تزكية النفس - للمؤلف – ص/٣٧٩.

(٢٠٢) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي – للأستاذ أحمد قبَّش – ص/٥١٦.

obeikandl.com

وصية الشاعر سابق البربري
لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

من نفائس الوصايا قصيدة **الشاعر سابق البربري** [٢٠٣] المشتملة على حكم ومواعظ، وقد قال لـه عمر بن عبد العزيز رحمه الله: عِظني يا سابق و أوجز، فأنشده قصيدة بديعة، وهذه أبيات مختارة منها [٢٠٤]:

بسم الذي أُنزِلَتْ من عندِهِ السُور ... والحمد لله، أمَّا بَعدُ يَا عمرُ
إن كنتَ تعلمُ ما تَأتي وما تَذَرُ ... فكُنْ على حَذَرٍ قد ينفَعُ الحذرُ
واصبرْ على القَدَرِ المقدورِ وارضَ به ... وإنْ أَتاك بما لا تشتهي القَدَرُ
إن التقى خيرُ زادٍ أنتَ حامِلُهُ ... والبِرُّ أفْضَلُ ما تأتي وما تَذَرُ
وليس ذو العلمِ بالتقوى كجاهِلِها ... ولا البصيرُ كأعمىً ماله بَصَرُ
والذكرُ فيهِ حياةٌ للقلوبِ كما ... يُحيي البلادَ - إذا ما ماتَت - المطرُ[٣]
والعلمُ يجلو العمى عن قَلْبِ صاحِبِه ... كما يجلِّي سوادَ الظُلْمَةِ القمرُ
لا ينفعُ الذكرُ قلباً قاسياً أبداً ... وهل يَلينُ لقولِ الواعِظِ الحَجَرُ[٢٠٥]

---

(٢٠٣) هو الشاعر سابق بن عبد الله البربري، المتوفى سنة ١٠٠هـ، كان يفِد على عمر بن عبد العزيز فينشده من مواعظه . [الأعلام ٣/٦٩] .

(٢٠٤) المرجع : سيرة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، للإمام ابن رجب الحنبلي، تحقيق : عفت وصال حمزة، دار ابن حزم، الطبعة الأولى - ١٤١٣هـ - .

(٣) وأورد الإمام ابن عبدالبر هذا البيت في كتابه (جامع بيان العلم وفضله)ص/٩١ بلفظ آخر، وهو :

والعلم فيه حياة للقلوب كما ... تحيا البلاد إذا ما مسها المطر

(٢٠٥) القلب الحي تنفعه المواعظ فيزداد حياة ومحبة لله ورسوله، وقد قال عز وجل : (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو

obeikandl.com

والمرءُ يَصْعَدُ ريعانُ الشبابِ به ... وكلُّ مُصعِدَةٍ يوماً سَتَنْحَدِرُ[٢٠٦]

بينا نرى الغُصْنَ لَدْناً في أرومَتِهِ ... ريَّانَ صَارَ حُطاماً جوفُهُ نَخِرُ[٢٠٧]

وكل بيتٍ خرابٌ بعد جِدَّتِهِ ... ومن وراءِ الشبابِ الموتُ والكِبَرُ

إلى الفناء وإن طالَت سلامتُهُمْ ... مصيرُ كل بني أنثى، وإن كثُروا

وليس يزجرُكم ما توعَظون به ... والبُهم يزجرُها الراعي فَتَنْزَجِرُ

مالي أرى الناس والدنيا مُوَلِّيَةٌ ... وكلُّ حبل عليها سوف يَنْبَتِرُ[٢٠٨]

لا يشعرون بما في دينهم نقصوا ... جهلاً وإن نقصت دُنياهُمُ شعروا[٢٠٩]

ألقى السمع وهو شهيد) سورة ق آية/ ٣٧، وأما القلب القاسي، فإن قسوته تزداد حتى يصبح كالحجارة إذا لم يتداركه صاحبه. قال تعالى: M g h i j k l m n o p q L [البقرة آية/ ٧٤].

(٢٠٦) ريعان كل شيء أوله وأفضله، والمعنى أن الناس يصعدون ويزدادون قوةً في شبابهم ولكن الشباب لا يدوم، ولابد بعد القوة من الضعف والشيخوخة، والسعيد من اغتنم شبابه وصحته وقوَّته في طاعة ربه سبحانه .

(٢٠٧) لَدْناً : طرياً، أرومته : أصله، وهذا مثل ضربه الشاعر لحال الإنسان وانتقاله من القوة إلى الضعف، كالغصن الطري الذي سرعان ما يتحول إلى حطام يابس جوفه منخور .

(٢٠٨) ينبترُ : ينقطع، وهكذا حال الدنيا لا دوام لها .

(٢٠٩) آفة معظم الناس أنَّهم يشعرون بما ينالهم من نقص في دنياهم ولا يبالون بنقص دينهم، وينطبق على هؤلاء قول الشاعر :

أبنيَّ إنَّ من الرجال بهيمة ... في صورة الرجل السميع المبصر

فطنٌ بكل مصيبة في ماله ... فإذا أصيب بدينه لم يشعر

obeikandl.com

* وأورد الإمام ابن رجب الحنبلي أن سابق البربري دخل يوماً على عمر بن عبدالعزيز، فقال له عمر : عظني يا سابق، قال : نعم، فأنشده :

إذا أنت لم ترحل بـزادٍ مـن التقـى ... ووافيــتَ بعــد المــوت مَــنْ قــد تــزوَّدا

ندمت عـلى أن لا تكـون شركتَـهُ ... وأرصدتَ قبل الموت ما كان أرصدا[٢١٠]

(٢١٠) سيرة عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز – للإمام ابن رجب الحنبلي – ص/ ٩٢ .

obeikandl.com

قصيدة

(عنوانُ الحِكَم)

للإمام أبي الفتح البستي

من أبدع القصائد التي ينبغي لطالب العلم الاعتناء بها وحفظها هذه القصيدة النفيسة، فإنها خير ما يحفِّظه الآباء للأبناء، والمعلم للمتعلم، لوضوح معانيها وجزالة ألفاظها وتنوع نصائحها.

وناظمها هو الإمام الشاعر أبو الفتح علي بن محمد البُستي [1] رحمه الله تعالى، وقد قال عنه المؤرخون: (إن الناس في مقاهي القاهرة كانوا يرددون شعره، كما أن نونيته الشهيرة [2] كانت تُحفظ للتلاميذ في كل العالم الإسلامي، لكثرة فوائدها وعظيم عوائدها[3]).

وإليك مختارات من هذه القصيدة البديعة .

زيادةُ المرءِ في دُنياه نُقصانُ ... وَرِبْحُه غيرَ مَحْضِ الخير خُسْرانُ

يا عامراً لخرابِ الدَّارِ مجتهداً ... بالله هل لخرابِ العُمْرِ عُمرانُ ؟

ويا حريصاً على الأموال تجمعها ... أُنْسيتَ أنَ سرور المالِ أحزانُ ؟

أحسِنْ إلى الناس تستعبدْ قلوبهمُ ... فطَالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ [211]

يا خادِمَ الجسم كم تَشْقَى بخِدمتِه ... أَتَطلُبُ الرِّبْحَ فيما فيه خُسْرانُ ؟

---

(1) ولد رحمه الله في حدود سنة ٣٣٠هـ في مدينة (بست) من بلاد أفغانستان ، ونبغ في العلم والفقه ، وله شعر رائع يتضمن حكماً فائقة ، وتوفي سنة ٤٠٠ هـ.

(2) المراد هذه القصيدة وسميت نونية لأن قافيتها تنتهي بحرف النون.

(3)من مقدمة رسالة: (قصيدة عنوان الحكم) بتعليق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، ص/١٨ مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ، ومعاني الأبيات في الحواشي مأخوذة من شرح الشيخ عبدالفتاح رحمه الله.

(٢١١) تستعبد قلوبهم : تستميلها وتملكها بالإحسان اليهم ، فكثيراً ما ملك الإحسانُ قلب الإنسان .

obeikandl.com

أقبِلْ على النفسِ واستكْمِل فضائِلَها ... فأنتَ بالنفس لا بالجسم إنسانُ

واشْدُدْ يديك بِحَبلِ اللهِ مُعتصِماً ... فإنَّه الرُّكنُ إن خانَتْك أركانُ

مَنْ يَتَّقِ اللهَ يُحْمَدْ في عواقبِهِ ... ويَكْفِهِ شَرَّ من عَزُّوا ومن هَانُوا

مَن استعانَ بغير اللهِ في طَلَبٍ ... فإنَّ ناصِرَه عَجْزٌ وخِذْلانُ[٢١٢]

مَنْ يَزرع الشَّرَّ يَحْصُدْ في عواقِبه ... نَدَامَةً، ولِحَصْدِ الزَّرع إبَّانُ[٢١٣]

دَعِ التَّكاسُلَ في الخيراتِ تَطْلُبُها ... فليس يَسعَدُ بالخيراتِ كسلانُ

لا ظِلَّ للمَرْءِ يَعْرَى من تُقَىً ونُهَىً ... وإنْ أظلَّتْه أوراقٌ وأفنانُ[٢١٤]

كَفَى من العيش ما قد سَدَّ من عَوَز ... ففيه للحُرِّ إن حقَّقتَ غُنْيَانُ[٢١٥]

وذو القناعةِ راضٍ من معيشتِهِ ... وصاحبُ الحِرْصِ إن أثرَى فغَضْبانُ؟[٢١٦]

يا ظالِماً فَرِحاً بالعِزِّ ساعَدَهُ ... إن كنتَ في سِنَةٍ فالدَّهْرُ يَقظانُ[٢١٧]

---

(٢١٢) ناصرَه عجز وخذلان : أي إن مآلُهُ إلى العجز والخذلان.

(٢١٣) إبَّان : أي وقت محدد .

(٢١٤) الظل هنا : العز والمَنعة ، يعرى من تقى ونهى : يفقد التقوى والعقل.

(٢١٥) العوز : الحاجة والفقر ، والغنيان (بضم الغين) : الاستغناء.

(٢١٦) أثرى : زاد ماله وكثر ، وقوله : صاحب الحرص إن أثرى فغضبان ، و ذلك لطمعه المتزايد ، فيرى نفسه دائماً في حاجة للمزيد ، ويغضب إذا لم ينل ذلك.

(٢١٧)السنة : الغفلة الخفيفة ، والمعنى : أيها الظالم لايغرنك ما أنت فيه من سطوة وسلطان ، إن كنت في غفلة عن هذا فإن عين الله لا تنام عنك وما أسرع ما ينتقم منك.

obeikandi.com

يـــا أيهـــا العـــالِمُ المـــرْضِيُّ سِـــيرَتُهُ ... أَبـــشِرْ فأنـــتَ بغـــيرِ المـــاءِ رَيَّـــانُ[٢١٨]

ويا أخا الجهـلِ لـو أصـبحتَ في لُجَـجٍ ... فأنـت مـا بينهـا لاشَـكَّ ظَمْـآنُ[٢١٩]

لا تَحْـــسَبَنَّ سُرُوراً دائـــماً أبـــداً ... مَـــنْ سَرَّه زَمَـــنٌ ســـاءَتهُ أزمـــانُ

إذا جَفَـــاك خليـــلٌ كنـــتَ تألَفُـــه ... فاطلُـبْ سِـوَاهُ فكـلُّ النـاسِ إخـوانُ

وإنْ نَبَـتْ بـك أوطـانٌ نـشأتَ بِهَـا ... فَارْحَـــلْ فَكُـــلُّ بـــلادِ اللهِ أوطـــانُ

يا رافِـلاً في الشَّبابِ الرَّحْبِ مُنْـتَـشِياً ... مِن كأسِهِ، هل أصاب الرُّشْدَ نَشوانُ؟[٢٢٠]

لا تَغتَـــرِرْ بـــشَبابٍ رائـــقٍ نَـــضِرٍ ... فـــكم تَقَـــدَّمَ قَبْـــلَ الـــشَّيبِ شـــبَّانُ[٢٢١]

ويا أخا الشَّيْبِ لـو ناصَـحتَ نفسَكَ لم ... يكـــن لِمِثلِـــكَ في اللَّـــذَّات إمعـــان

هَبِ الشَّبِيبةَ تُبْدِي عُذرَ صاحِبِهـا ... ما عُذرُ أَشْـيَبَ يَـستهويه شـيطانُ؟![٢٢٢]

---

(٢١٨) المراد : أيها العالم الذي حفظ أمانة العلم أبشر فأنت بما أفاء الله عليك قرير العين مطمئن النفس.

(٢١٩) اللُجج : جمع لُجة ، وهي معظم الماء ، والمراد : أيها الجاهل لو غمرتك الدنيا بخيراتها فأنت محروم ظمآن ، لأن نعمة العلم تُسقى بها العقول والقلوب.

(٢٢٠) رافل : مختال متبختر ، والمعنى : أيها الشاب المعجب بشبابه وقوته لا تغتر فالشباب عَرَضٌ زائل ، والنشوة به تحجب العقل عن الهداية و الرشاد.

(٢٢١) أي : لاتغتر أيها الشاب المتدفق حيوية وتظن أنك تعيش طويلاً ، فكم من شاب مات قبل العَجَزة كبار السن.

(٢٢٢) الشبيبة : حداثة السن، تُبدِي عذر صاحبها : لأن حداثة السن مَظنَّة الجهل، وأشيبَ : أبيض شعر الرأس من الشيخوخة.

وصية الإمام أبي إسحاق الإلبيري لولده

من نفائس الوصايا المنظومة الشعرية البديعة التي نظمها الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيري الأندلسي (المتوفى سنة ٤٦٠هـ) يحث فيها ولده أبا بكر على العلم والعمل به والتخلق بالأخلاق الفاضلة، وقد كان العلماء يحثون طلبتهم على حفظ هذه المنظومة لجودتها، فتأمل معي نفائس الوصايا في هذه القصيدة [٢٢٣]:

تَفُتُّ فُؤادَكَ الأَيَّامُ فَتّا ... وتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعاتُ نَحْتَا

وتَدْعُوكَ المَنُونُ [٢٢٤] دُعاءَ صِدْقٍ ... ألا يا صاحِ : أنتَ أُريدُ ، أَنتَا

تنامُ الدَّهرَ وَيْحَكَ في غَطيطٍ ... بِهَا حتَّى إذا مِتَّ انتبَهْتَا

أبا بكرٍ دَعَوْتُكَ لو أَجَبْتَا ... إلى ما فِيه حَظُّكَ إن عَقَلْتا

إلى عِلْمٍ تكونُ بِهِ إماماً ... مُطَاعَاً إن نَهَيْتَ وإنْ أَمَرْتا

يَنالُكَ نَفْعُهُ ما دُمْتَ حَياً ... وَيَبْقَى ذُخْرُهُ لكَ إن ذَهَبتا

وكَنْزاً لا تَخَافُ عَلَيْهِ لِصاً ... خَفيفَ الحَملِ يُوجَدُ حيثُ كُنتا

يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الإنْفَاقِ مِنْهُ ... ويَنقُصُ إن بِهِ كفاً شَدَدْتَا

فلو قد ذُقْتَ مِنْ حَلواهُ طَعْماً ... لآثرت التعلُّم واجْتَهَدْتا

فَواظِبْهُ وخُذ بالجِد فيهِ ... فإن أَعْطَاكَهُ اللهُ أَخَذْتَا

وإنْ أُوتِيْتَ فِيهِ طَويلَ باعٍ ... وَقَالَ النَّاسُ إنَّكَ قَدْ سَبَقْتَا

فَلا تأمَنْ سُؤالَ اللهِ عنهُ ... بتوبيخٍ : عَلِمْتَ فَهَلْ عَمِلتَا ؟

---

(٢٢٣) وقد بلغت أبياتها ١١٥ بيتاً، ولهذا قال في آخرها :

وقد أردفتها تسعاً حِساناً ... وكانت قبل ذا مائةً وستا

(ينظر ترجمة الإلبيري في الأعلام ١ / ٧٣) وينظر ديوان أبي إسحاق الإلبيري - بتحقيق – د. محمد رضوان الداية

(٢٢٤) المنون : الموت.

فَـرَأْسُ العِلْـمِ تَقْـوَى اللهِ حَقـاً ... وَلَـيْسَ بِـأن يُقَـالَ : لَقَـدْ رَأَسْـتَا

إذَا مـا لَمْ يُفِـدْكَ العِلـمُ خَـيْراً ... فَخَـيْرٌ مِنْـهُ أَن لَـوْ قَـدْ جَهِلْتَـا

وإن أَلقَـاكَ فَهْمُـكَ في مَهـاوٍ ... فَلَيتَـكَ ثُـمَّ لَيْتَـكَ مَـا فَهِمْتَـا

وَمَـا يُغنِيـكَ تَـشْييدُ المَبـاني ... إذا بالجَهْـلِ نَفْـسَكَ قَـدْ هَـدَمْتَا

جَعَلْـتَ المَـالَ فَـوقَ العِلْـمِ جَهْـلاً ... لَعَمْـرُكَ في القَـضِيَّةِ مـا عَـدلْتَا

وبَيْـنَهُما بِـنَصِّ الـوَحْي بَـوْنٌ ... سَـتَعْلَمُهُ إذا طـهَ قَرَأْتَـا[٢٢٥]

لَـئِنْ رَفَـعَ الغنـيُّ لـواءَ مـالٍ ... لأَنْـتَ لـواءَ عِلْمِـكَ قـد رَفَعْتَـا

وإن جَلَسَ الغنيُّ عـلى الحَـشايا[٢٢٦] ... لأَنْـتَ عَـلَى الكواكـب قـد جَلَـسْتا

فَقَابِـلْ بـالقَبولِ صَـحيْحَ نُـصحي ... فَـإِنْ أَعْرَضْـتَ عَنْـهُ فَقَـدْ خَـسِرْتا

وَإن راعَيْتَـهُ قـولاً وفِعْـلاً ... وَتَـاجَرْتَ الإلَـهَ بِـه رَبِحْتَـا

فليْـسَتْ هـذِهِ الـدَّنيا بِـشَيءٍ ... تَـسُوؤُكَ حقْبَـةً وتَـسُرُّ وَقْتـاً

وَتَطعِمُـكَ الطَّعَـامَ وَعَـن قَريـبٍ ... سـتَطْعَمُ منـكَ مـا مِنْهـا طَعِمْتـا

وتـشهَدُ كـلَّ يـومٍ دفـنَ خِـلٍّ ... كَأَنَّـك لا تُـرادُ بِـما شَـهِدْتا

ولا تحـزَن عـلى مـا فـاتَ مِنْهـا ... إذا مـا أنـتَ في أُخْـرَاكَ فُزْتَـا

فلـيسَ بنـافعٍ مـا نِلْـتَ فيهـا ... مِـنَ الفَـاني ، إذا البـاقي حُرِمْتـا

ولا تَـضْحَكْ مَـعَ الـسُّفهاءِ لَهـواً ... فإنَّـكَ سـوفَ تَبكـي إن ضَـحِكتا

وسَـلْ مِـنْ رَبِّـكَ التَّوفيـقَ فِيهـا ... وأَخْلِـصْ في الـسُّؤالِ إذا سَـأَلْتا

---

(٢٢٥) يشير إلى قوله تعالى في سورة طه : M ! " # $ & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 L سورة طه آية /١١٤.

(٢) الحشايا : جمع حشية ، أي : الفراش المحشو.

وأكْثِـرْ ذكـرَهُ في الأرضِ دَأْبـاً ... لِتُـذْكَرَ في الـسَّماء إذا ذَكَرْتـا
وَلاَ تَقُـل الـصِّبا فيـه مَجـالٌ ... وفَكِّـرْ كـم صَـغَيْرٍ قَـد دَفَنْتـا
وقُـلْ لي يـا نَـصيحُ لأَنـتَ أَولى ... بِنُصحِكَ لَوْ بعقلكَ قَدْ نَظَرْتا[٢٢٧]
وفي صِـغَري تُخَـوِّفُني المَنايـا ... ومـا تَجْـري بِبالِـكَ حِـيْنَ شِـخْتا
وكُنْـتَ في الـصِّبا أهْـدَى سَـبيلاً ... فـما لـكَ بَعـدَ شَـيْبكَ قـد نُكِـسْتا
لَيَقْـبُحُ بـالفَتى فِعْـلُ التَّـصَابي ... وأَقـبحُ منـهُ شـيخٌ قَـد تفتَّـى
وتُـشفق للمُـصرِّ عـلى المَعـاصي ... وتَرْحَمُـهُ ، ونَفْـسَكَ مـا رَحِمْتـا
ولَـو قـد جئتَ يـومَ الفَـصْلِ فَـرْداً ... وأبـصرتَ المنـازلَ فيـه شـتَّى[٢٢٨]
لأَعْظَمْـتَ النَّدامـةَ فيـهِ لهفـاً ... عـلى مـا في حَياتـكَ قـد أضَـعْتا
تَفِـرُّ مِـنَ الهَجِـيْرِ [٢٢٩]وتَتَّقِيـهِ ... فَهَـلاَّ عـن جَهـنَّمَ قَـد فَرَرْتـا ؟!
ولـستَ تُطيـقُ أَهْوَنَـها عَـذَاباً ... ولـو كنـتَ الحديـدَ بِهَـا لَـذُبْتا
أبـا بَكـرٍ كَـشَفْتَ أقـلَّ عَيْبـي ... وأَكثَـرَهُ ومُعْظَمَـهُ سَـتَرْتا
فـلا تَـرْضَ المَعايـبَ فهـيَ عـارٌ ... عَظـيمٌ يـورِثُ الإنـسانَ مَقْتـا
وتَهْـوِي بالوجيـهِ مِـنَ الثُّرَيَّـا ... وتُبْدِلُـه مكـانَ الفَـوْقِ تَحْتـا
وأَنـتَ الآنَ لَمْ تُعْـرفْ بِعَـابٍ[٢٣٠] ... وَلا دَنَّـسْتَ ثَوبَـكَ مُـذ نَـشَأْتا
جمعـتُ لـكَ النَّـصائحَ فامْتَثِلهـا ... حياتَـكَ ؛ فهـيَ أَفْـضَلُ مـا امْتَثَلْتـا
وطَوَّلْـتُ العِتـابَ وزِدْتُ فيـهِ ... لأَنَّـكَ في البَطالـةِ قَـد أَطَلْتـا
فـلا تأخُـذْ بتقـصيري وسَـهْوي ... وخُـذْ بوصِـيَّتي لـكَ إن رَشَـدْتا

---

(١) يلتفت الشاعر هنا التفاتة بديعة ليوجِّه النصح إلى نفسه على لسان ولده، ويعاتب نفسه على تقصيرها، ويزجرها على تفريطها، وهذا درس بليغ من الإمام الإلبيري رحمه الله لكل مسلم ليبادر إلى محاسبة نفسه وعتابها ، ولا يظن أنه من أهل العلم والفضل فلا يحتاج لمحاسبة النفس، وقد قال عمر بن الخطاب t : (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا) للمزيد في هذا الموضوع ينظر : منهج الإسلام في تزكية النفس - للمؤلف – ص/ ٢٦٠.

(٢٢٨) شتى : أي متفاوته. (٣) الهجير : شدة الحر في منتصف النهار .

(٢٣٠) أي : بعيب و نقص .

وصية الشاعر الحصري لنفسه

يتخذ الشاعر أبو الحسن الحصري[1] من مصابه بوفاة ولده فرصة لموعظة نفسه على لسان ولده الميت، الذي يرجو له رحمة الله ومغفرته وجنته، بأسلوب شعري بديع ومؤثر، وهكذا يتحول من رثاء ولده الميت إلى تقريع لنفسه، وزجر لها عن الغفلة، وتزويدها بنفائس الوصايا، فيقول[2] :

سألتُ حبيب النفس أين مكانه ... إذا نُشر الموتى وأين مكاني؟
فقال :مكاني حيث جئتُ بجنة ... مُذلَّلةٍ منها القطوف دواني
ولا علمَ لي إلا بنفسي وجدتُها ... فيا أبتا عمل صالحاً لتراني
ويا أبت احذر فتنة القبر إنها ... مخافة مَنْ لم يجتهد لأمانِ
ويا أبت اعمل لستَ عني جازياً ... ولا عنك أجزي غير شانك شأني
ويا أبت اتلُ الذكر حسبكَ واعظاً ... تَدبُّرُ آيٍ فُصِّلَت ومثانِ
ويا أبت استيقظ فإنك نائمٌ ... ويا أبت استعجل فإنك وان
ويا أبت استشفع نبيك واثقاً ... بوعد يوفِّيه غداً وضمان
نجا ابنك فانظر في نجاتك واعتمد ... على عملٍ يبقى فإنك فان

(١) هو أبو الحسن علي بن عبدالغني الحصري، المقرىء الشاعر من القيروان، له تصانيف في القراءات منها القصيدة الرائية الحصرية في قراءة نافع، وأقرأ الناسَ القرآن الكريم بسبته، انتقل إلى الأندلس وتوفي بطنجة سنة ٤٨٨ هـ. ينظر : (سير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٦ - شذرات الذهب ٣/ ٣٨٥ الأعلام ٤/ ٣٠٠) .

(٢) ديوان الحصري - ص / ٣٧٦ .

openkanal.com

مختارات من قصيدة الإمام ابن الوردي

من نفائس الوصايا الشعرية التي اشتهرت بين العلماء وطلاب العلم جيلاً بعد جيل القصيدة المسماة (لامية ابن الوردي) [٢٣١] للإمام زين الدين عمر بن مظفر المعروف بابن الوردي المتوفى عام ٦٨٩هـ في مدينة حلب .

وإليك مختارات من هذه القصيدة البديعة [٢٣٢] :

اعْتَـزِلْ ذِكْـرَ الأغَـانِي وَالغَـزَلْ ... وَقُـلِ الفَـصْلَ وَجَانِـبْ مَـنْ هَـزَلْ

واتَّـقِ اللهَ فَتَقْـوَى الله مـا ... جَـاوَرَتْ قَلْـبَ امْـرِىءٍ إلاَّ وَصَـلْ

لَـيْسَ مَـن يَقْطَـعُ طُرُقـاً بَطَـلاً ... إنَّـمَا مَـنْ يَتَّـقِ اللهَ البَطَـلْ

أَيْـنَ مَـنْ سَـادُوا وشَـادُوا وَبَنَـوْا ... هَلَـكَ الكُـلُّ فَلَـم تُغـنِ القُلَـلْ [٢٣٣]

سَـيُعيدُ اللهُ كُـلاًّ مِـنْهُمُ ... وَسَـيَجْزِي فَـاعِلاً مَـا قَـدْ فَعَـلْ

أيْ بُنَـيَّ اسْـمَعْ وصَـايَا جَمَعَـتْ ... حِكَـماً خُـصَّتْ بِهَـا خَـيْرُ المِلَـلْ [٢٣٤]

اطْلُـبِ العِلْـمَ ولاَ تَكْـسَلْ فَـمَا ... أَبْعَـدَ الخَـيْرَ عَـلَى أهْـلِ الكَـسَلْ

لا تَقُـلْ قَـدْ ذَهَبَـتْ أَرْبَابُـهُ ... كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الـدَّرْبِ وَصَـلْ [٢٣٥]

---

(٢٣١) سميت (لاميَّة) لانتهاء قافية أبياتها بحرف اللام .

(٢٣٢) المرجع: العطر الوردي شرح لامية ابن الوردي للدكتور مصطفى بن كرامة الله مخدوم - ط١/ ١٤٢٠هـ دار أشبيلية بالرياض .

(٢٣٣) القُلل: جمع قُلَّة، وقلة كل شيء رأسه وأعلاه، والمراد هنا القصور العالية والأبنية المرتفعة .

(٢٣٤) خير الملل هي شريعة الإسلام التي اختصت بكمال بيان هذه الوصايا وشدة العناية بِهَا .

(٢٣٥) أي : لا تقل قد مضى أهل العلم وأصحابه ولا يمكن بلوغ طريقهم، فإنَّ من سنة الله في عباده أنَّ لكل مجتهد نصيب، فعليك بالأخذ بالأسباب لنيل العلم وبلوغه .

openkanari.com

فِي ازدِيَـادِ العِلْـمِ إِرْغَـامُ العِـدَا ... وَجَمَـالُ العِلْـمِ إِصْـلاحُ العَمَـل[٢٣٦]

جمِّـلِ المنْطَـقَ بِـالنَّحْوِ فَمَـنْ ... يُحْرَمِ الإعْـرَابَ بِـالنُّطْقِ اخْتَبَـلْ[٢٣٧]

اطْـرَحِ الـدُّنْيَا فَمِـنْ عَادَاتِـهَا ... تَخْفِضُ العَالِي وَتُعْلِي مَـنْ سَـفَلْ[٢٣٨]

لا تَقُـلْ أَصْـلِي وَفَـصْلِي أَبَـدَاً ... إِنَّـمَا أَصْلُ الفَتَـى مَـا قَـدْ حَـصَلْ[٢٣٩]

قِيْمَـةُ الإِنْـسَانِ مَـا يُحْـسِنُهُ ... أَكْثَـرَ الإِنْـسَانُ مِنْـهُ أَوْ أَقَـلّ

لا تَخُـضْ فِي سَـبِّ سَـادَاتٍ مَـضَوْا ... إِنَّهُـمْ لَيْـسُوا بِأَهْـلٍ لِلزَّلَـلْ[٢٤٠]

قِـصِّرِ الآمَـالَ فِي الـدنيا تفُـزْ ... فَـدليلُ العقـل تقـصير الأمـلْ[٢٤١]

إِنَّ مَـنْ يَطْلُبُـهُ المَـوْتُ عَـلَى ... غِـرَّةٍ مِنْـهُ جَـدِيرٌ بِالوَجَـلْ[٢٤٢]

---

(٢٣٦) أي : لا يكون الرجل عالماً حتى يعمل بعلمه، وعدم العمل بالعلم قُبح وفساد .

(٢٣٧) اختبل : من الاختبال وهو الدهشة والتحير، والمراد أنَّ معرفة النحو والإعراب ضرورية لطالب العلم لئلا يخطىء في كلامه، ويتحير في ألفاظه.

(٢٣٨) اطرح الدنيا، أي : أخرج حبها من قلبك ولا تجعلها مقصودك، واجعل سعيك فيها طريقاً لنيل مرضاة ربك سبحانه .

(٢٣٩) أي : لا تقل يكفيني شرف نسبي وحسبي وفضل آبائي وأجدادي، فالإنسان بعمله لا بنسبه، والرسول e يقول: (ومن بطأ به عمله لم يُسرع به نسبه) فبادر إلى طلب الفضل والشرف بأعمالك الصالحة .

(٢٤٠) هذا تحذير من الإمام ابن الوردي من الوقوع في سبِّ سادات المسلمين من الصحابة والتابعين والعلماء الصالحين لأنهم ورثة الأنبياء، وقد نقلوا إلينا هذا الدين، فالطعن فيهم طعن في الشريعة، وهم مجتهدون في أعمالهم، قاصدون للحق فجزاهم الله خيراً، والواجب حسن الظن بهم ومحبتهم وتقديرهم والاستغفار لهم، كما قال تعالى: M وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ L [الحشر :١٠] .

(٢٤١) شأن العاقل ألا يغتر بالدنيا ويتكالب على حطامها وينسى العمل للآخرة، فالدنيا دار ممر لا مقرٍّ، وطول الآمال بالدنيا يتولد عنه الكسل عن الطاعة وقسوة القلب .

(٢٤٢) غرَّة: أي غفلة، والوجل هو الخوف، وهذا البيت تعليل للبيت السابق، والمراد : إنَّما أمرتك بتقصير الأمل في الدنيا لأنَّك لا تدري متى ستموت، فعليك بالاستعداد للرحيل والخوف من المولى سبحانه.

obeikandl.com

أيُّهـــا العَائِـــبُ قَـــوْلِي عابِثَـــاً ... إنَّ طِيْـبَ الـوَرْدِ مُـؤْذٍ بِالْجُعَـلْ [٢٤٣]

أنَـــا مِثـــلُ المَـــاءِ سَـــهْلٌ سَـــائِغٌ ... وَمَتَـــى ســـخِّنَ آذَى وَقَتَـــلْ

غَـــيْرَ أنِّي فِي زَمَـــانٍ مَـــنْ يَكُـــنْ ... فِيـــهِ ذَا مَـــالٍ هـــوَ المَـــوْلَى الأَجَـــلّ

واجـــبٌ عنـــد الـــورى إكرامـــه ... وقليـــلُ المـــال فـــيهم يُـــسْتَقَلْ [٢٤٤]

---

(٢٤٣) يختم الإمام ابن الوردي وصاياه بالتأكيد على أهميتها وضرورة التمسك بِهَا، وأنَّ الذي لا يأخذ بِهَا ويُنقص من قدرها هو الناقص المذموم، ولا يعيبها إلا من كان العيب فيه، كما أنَّ الجُعَل (وهو أحد الحشرات) يتأذى بالورد الطيِّب .

(٢٤٤) يصف ابن الوردي زمانه الذي انقلبت فيه موازين الناس وأصبح المقدَّم عندهم صاحب المال، وأما العالم الناصح فلا يبالون به، فإذا كان هذا هو الحال أيام الإمام ابن الوردي منذ أكثر من سبعمائة سنة، فلينظر إلى أحوال الناس اليوم !!

وفي هذا تنبيه لطالب العلم ألا يسير مع هذه المقاييس المقلوبة، فيبيع دينه وعلمه بعَرَضٍ من الدنيا قليل.

obeikandl.com

وصية الإمام السبكي لولده

وهذه مختارات من وصية الإمام تقي الدين السبكي لولده محمد، وهو يودِّعه متوجهاً إلى الحج سنة (٧١٦هـ)، فقال :

بُنـيَّ لا تُهمـل نـصيحتي التـي ... أُوصيك واسمع مـن مقـالي ترشُـدِ
احفـظ كتـاب الله والـسُّنن التـي ... صـحَّت وفقـه الـشافعي محمَّـدِ
واعلـم أصـولَ الفقـه عِلـماً مُحكـماً ... يهديك للبحث الصَّحيح الأيِّـدِ[٢٤٥]
وتعلَّـم النَّحـو الـذي يـدني الفتـى ... مـن كـلِّ فهـمٍ في القُـران مُـسدَّدِ
وخُـذِ العلـوم بهمَّـة وتفطُّـنٍ ... وقريحـةٍ سـمحاء ذات توقُّـدِ
والـزم كتابـك دائـماً مُـتفهماً ... واهجر منامـك في طـلاب الـسُّؤددِ
واسـلك سـبيل الـشافعي ومالـكٍ ... وأبي حنيفـة في العلـوم وأحمـدِ
واقصد بعلمِكَ وَجْهَ ربِّـك خالـصاً ... تظفـر بـسبل الـصالحين وتهتـدِ
وتجنَّـب اللهـو الـذي يُـزري الفتـى ... وذَرِ الخلاعة والمُجـون مـع الـرَّدي
واتبـع صراط المـصطفى في كُـلِّ مـا ... يـأتي بـه مـن كـلِّ أمـرٍ تـسْعَدِ
وعليك بالورع الـصحيح و لا تَحُـمْ ... حَوْلَ الحِمى واقنُت لربِّكَ واسـجدِ
وصُن اللسان عن الخنا واحم الفـوا ... هن الحرام وكفَّ عـن ظلـم اليـدِ
ومكـارم الأخـلاق طُـراً[٢٤٦]فأتهـا ... مهما استطعت ووجهَ ربِّـك فاقـصدِ

---

(٢٤٥) الأيِّد : القوي .

(٢٤٦) طُراً : جميعاً .

obeikandl.com

واجعل شعارك ثوب زُهدٍ محكم ... واجعل دثارك ثوب عِلمٍ ترتدي
واحفظ سلوكك لا تزلَّ فإنه ... من زل يهوي في الجحيم ويبْعُدِ
وارفَعْ إلى الرَّحمن كُلَّ مُلِمَّةٍ ... بضراعةٍ وتَمَسكنٍ وتعبُّدِ
وإذا أتَتْكَ مقالةٌ قد خَالَفت ... نصَّ الكتاب أو الحديث المُسنِدِ
فاقفْ الكتاب ولا تَمِل عنه وقِفْ ... مُتأدِّباً مع كلِّ حبرٍ أوْحَدِ[٢٤٧]
فلُحُومُ أهل العِلم سُمَّت للجُنا ... ةِ عليهم فاحفظ لسانك وابعُدِ[٢٤٨]
واحفظ فؤادك أن تبوحَ بسرِّه ... فتظلَّ من مِحَنِ الزَّمان بِمرصَدِ
فالعلمُ والأدبُ الجميلُ مع التُّقى ... والحِلمُ أفضلُ ما ارتداه المُرتدي
هذي وصيَّتي التي أُوصيكَهَا ... أكرِم بها من والدٍ متودِّدِ

(٢٤٧) الحَبر (بفتح الحاء): هو العالم، ومنه سُمي ابن عباس رضي الله عنهما: حَبْبر الأمة وترجمان القرآن.

(٢٤٨) وفي هذه الوصية تحذير من تجريح العلماء والطعن فيهم، وأن التعرض لهم بالإيذاء يوجب غضب الله سبحانه، كما ورد في الحديث القدسي : (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)، وقد تكاثرت الوصايا في التحذير من انتقاص العلماء وغيبتهم، وتشبيه من يفعل ذلك بأنه يأكل لحماً مسموماً، وأورد الإمام النووي عن الإمام ابن عساكر أنه قال : (اعلم يا أخي أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، وأن من أطلق لسانه على العلماء بالثلب - أي : بالعيب - ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي – ص/ ٢١.

من بدائع وصايا الإمام ابن القيم

للإمام ابن قيم الجوزية (المتوفى سنة ٧٥١هـ) قصيدة بديعة حفلت بنفائس التوجيهات والوصايا، وذخرت بجملة من الآداب والفوائد، وختمها بالحديث عن نعيم الجنة والشوق إليها، وبلغت أبيات هذه القصيدة ٢٢٩ بيتاً، وإليك مختارات منها[٢٤٩] :

إذا طلعَتْ شَمْسُ النَّهارِ فَإِنَّهَا ... أَمَارَةُ تَسْلِيمي عَلَيْكُم فسَلِّموا

سَلامٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ ... وَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَفَضْلٌ وَأَنْعمُ

عَلى الصَّحْبِ والإِخْوَانِ والوِلْدِ والأُلى ... رَعَوْهُمْ بإحسَانٍ فَجَادُوا وَأَنْعَموا[٢٥٠]

أُولئِكَ أَتْبَاعُ النَّبِيِّ وَحِزْبُهُ ... وَلَوْلاهُمُ مَا كَانَ فِي الأَرْضِ مسْلِمُ

فَيَا مُحْسناً بَلِّغْ سَلامِي وَقُلْ لَهُم ... مُحِبُّكُمُ يَدْعُو لكُمْ وَيسَلِّمُ

* * *

وَيَا مُوقِداً نَاراً لِغَيْرِكَ ضَوءُهَا ... وَحَرُّ لَظاهَا بَيْنَ جَنْبَيْكَ يَضْرِمُ[٢٥١]

أَهَذَا جَنَى العِلْمِ الَّذي قَدْ غَرَسْتَهُ ... وَهَذَا الَّذي قَدْ كُنْتَ تَرْجُوهُ يُطْعِمُ

وَهَذَا هُوَ الحَظُّ الَّذي قَد رَضِيتَهُ ... لِنَفْسِكَ فِي الدَّارَيْنِ جَاهٌ وَدِرْهَمُ

وَهَذَا هُوَ الرِّبْحُ الَّذي قَدْ كَسِبْتَهُ ... لَعَمْرُكَ لا رِبْحٌ وَلا الأَصْلُ يَسْلَمُ

بَخِلْتَ بِشَيءٍ لا يَضُرُّكَ بَذْلُهُ ... وَجُدْتَ بِشَيءٍ مِثْلُهُ لا يُقَوَّمُ[٢٥٢]

وَبِعْتَ نَعِيماً لا انْقِضَاءَ لَهُ وَلا ... نَظِيرَ بِبَخْسٍ عَنْ قَلِيلٍ سَيُعْدَمُ

---

(٢٤٩) المرجع: كتاب (شرح القصيدة الميمية) للإمام ابن القيم، شرح: سعد مزعل، دار ابن حزم.

(٢٥٠) الوِلد بالكسر : جمع ولد، فهو يزف هذا السلام إلى الأصحاب والإخوان والأولاد، وإلى الذين أحاطوهم بالرعاية .

(٢٥١) لظاها : لهبها ، يضرم : يشتعل .

(٢٥٢) أي : بخلت بالمال الفاني، ومقابل ذلك زهدت ولم تحرص على النعيم الدائم في الجنة.

فَهَلاَّ عَكَسْتَ الأَمْرَ إنْ كُنْتَ حَازِمَاً ... وَلَكِنْ أَضَعْتَ الحَزْمَ لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ

تُنَزِّهُ مِنْكَ النَّفْسَ عَن سُوءِ فِعْلِهَا ... وَتَعْتِبُ أَقْدارَ الإله وَتَظْلِمُ(٢٥٣)

مُضِيعٌ لأمْرِ الله قَدْ غَشَّ نَفْسَهُ ... مُهِينٌ لَهَا أَنَّى يُحَبُّ وَيُكْرَمُ

بَطِيءٌ عَنِ الطَّاعَاتِ أَسْرَعُ للخَنَا ... مِنَ السَّيْلِ في مَجْرَاهُ لا يَتَقَسَّمُ(٢٥٤)

وَتَزْعُمُ مَعهَذا بأنَّكَ عَارِفٌ ... كَذَبْتَ يَقِيناً في الَّذي أنْتَ تَزعُمُ

وَمَا أَنْتَ إلاَّ جَاهِلٌ ثُمَّ ظَالِمٌ ... وإنَّكَ بَيْنَ الجَاهِلينَ مُقَدَّمُ

فَإن كُنْتَ لا تَدْرِي فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ ... وَإنْ كُنْتَ تَدْري فَالْمُصِيْبَةُ أَعْظَمُ

وَلَوْ تُبْصِرُ الدُّنْيَا وَرَاءَ سُتُورِهَا ... رَأَيْتَ خَيَالاً فِي مَنَامٍ سَيُصْرَمُ

فجُزْهَا مُمِراً لا مُقِراً وكُنْ بِهَا ... غَرِيْبَاً تَعِشْ فِيهَا حَمِيْداً وَتَسْلمُ(٢٥٥)

وَحَسْبُكَ مَا قَالَ الرَّسُولُ مُمَثِّلاً ... لهَا ولِدارِ الخلْدِ والحَقُّ يُفْهَمُ

كَمَا يُدْلِيَ الإنْسَانُ فِي اليَمِّ إِصْبَعاً ... وَيَنْزِعُهَا مِنْهُ فَمَا ذَاكَ يَغْنَمُ(٢٥٦)

* . * . *

فَيَا سَاهِياً فِي غَمْرَةِ الجَهْلِ وَالهَوَى ... صَرِيْعَ الأَمَانِي عَنْ قَرِيبٍ سَتَنْدَمُ

أفِقْ قَدْ دَنَا الوَقْتُ الَّذي لَيْسَ بَعْدَهُ ... سِوى جَنَّةٍ أَوْ حَرِّ نَارٍ تَضَرَّمُ

وَبِالسُّنَّةِ الغَرَّاءِ كُنْ مُتَمَسِّكَاً ... هِي العُروَةُ الوُثْقَى الَّتي لَيْسَ تُفصَمُ

---

(٢٥٣) يشير الإمام ابن القيم هنا إلى آفة يقع فيها كثير من الناس، حيث يلتمس أحدهم لنفسه الأعذار عند فعل المحرمات، ليجد مساغاً لفعلها، وإذا وقع في مكروه يلوم القدر الذي كُتب عليه، وذلك بسبب اتباعه لهواه ونفسه الأمارة بالسوء.

(٢٥٤) أي : مقصر في فعل الطاعات ومتكاسل عن أدائها، أما الفواحش فهو سريع إليها، أسرع من السيل إذا كان مجتمعاً لم يتشعب.

(٢٥٥) جُزها : أي اعبرها، فالدنيا ممرٌ لا مقر، وقد سبقت وصية الرسول ﷺ لابن عمر t : (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل).

(٢٥٦) إشارة إلى الحديث النبوي الذي رواه مسلم (رقم / ٢٨٥٨) : وهو قوله ﷺ : (والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بمَ يرجع). أي : كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع إلى باقي البحر.

وهَيِّـيء جَوَابـاً عِنـدما تَـسْمَعُ النِّـدا ... مِنَ اللهِ يَـوْمَ العَـرْضِ مَـاذَا أَجَبـتُمُ[٢٥٧]

وَخُـذْ مِـنْ تُقَـى الـرَّحْمَنِ أَعْظَـمَ جُنَّـةٍ ... لِيَـوْمٍ بِـهِ تَبْـدُو عَيَانـاً جَهَـنَّمُ[٢٥٨]

وَيُنْصَبُ ذاكَ الجِسْرُ مِـنْ فَـوْقِ مَتْنِهَـا ... فَهَـاوٍ وَمَخْـدوشٍ وَنَـاجٍ مُـسَلَّمُ

وَيَـأْتِي إِلَـهُ العَـالَمِينَ لِوَعْـدِهِ ... فَيَفْـصِلُ مَـا بَـيْنَ العِبَـادِ وَيَحْكُـمُ

وَيَأْخُـذُ لِلْمَظْلُـومِ رَبُّـكَ حَقَّـهُ ... فَيَـا بُـؤْسَ عَبْـدٍ لِلخَلائِـقِ يَظْلِـمُ

وَتَـشْهَدُ أَعْـضَاءُ الْمُسِيءِ بِـمَا جَنَـى ... كَـذَاكَ عَـلَى فِيـهِ الـمُهَيْمِن يَخْتِمُ[٢٥٩]

فيا لَيتَ شِعرِي كيفَ حَالُكَ عِنْدَمَا ... تَطَـايَرُ كُتُـبُ العَـالَمِينَ وَتُقْـسَمُ

أَتَأْخُـذُ بِـاليُمْنَى كِتَابَـكَ أَمْ تَكُـنْ ... بِـالاخْرَى وَرَاءَ الظَّهْـرِ مِنْـكَ تُـسَلَّمُ

وَتَقْـرأُ فِيـهِ كُـلَّ شَيءٍ عَمِلْتَـهُ ... فَيُـشْرِقُ مِنْـكَ الوَجْـهُ أَوْ هُـوَ يُظْلَـمُ

تَقُـولُ كِتَـابي فـاقْرَءُوهُ فَإِنَّـهُ ... يُبَـشِّرُ بـالفَوزِ العَظِـيمِ وَيُعْلِـمُ

فَـإِنْ تَكُـنِ الأُخْـرَى فإِنَّـكَ قَائِـلٌ ... أَلا لَيْتَنِـي لَمْ أُوْتَـهُ فهْـوَ مُغْـرَمُ

فَبَـادِرْ إِذاً مـا دَامَ في العُمْـرِ فُـسْحَةٌ ... وَعَـدْلُكَ مقبـولٌ وَصرْفُـكَ قـيِّمُ[٢٦٠]

وَجِـدَّ وَسَـارِعْ وَاغْتَـنِمْ زَمَـنَ الـصِّبَا ... فَفِـي زَمَـنِ الإِمْكَـانِ تَـسْعَى وَتَغْنَـمُ

وَسِرْ مُـسْرِعَاً فَـالموتُ خَلْفَـكَ مُـسْرِعُ ... وَهَيْهَـات مَـا مِنْـهُ مَفَـرٌّ ومَهْـزَمُ

* . * . *

فَيَـا خَاطِـبَ الحَسْنَاءِ إِنْ كُنْـتَ رَاغِبـاً ... فَهَـذا زَمَـانُ المهْـرِ فَهْـوَ الْمُقَـدَّمُ

وَإِنْ ضَـاقَتِ الـدُّنْيَا عَلَيْـكَ بِأَسْرِهَـا ... وَلَمْ يَـكُ فِيهَـا منْـزِلٌ لَـكَ يُعْلَـمُ

---

(٢٥٧) إشارة إلى قوله سبحانه : M L x w v u t s r القصص : آية / ٦٥.

(٢٥٨) جُنَّة : أي وقاية.

(٢٥٩) على فيه : أي فمه، يقول عز وجل : M { z y x w v u t s r q p L يس : آية/ ٦٥.

(٢٦٠) عدلك مقبول : أي عدولك ورجوعك إلى الله عز وجل، والصرف : التوبة.

فَحَـيَّ عَـلَى جَنَّـاتِ عَـدْنٍ فإنَّهـا ... مَنَازِلُـكَ الأُولى وَفِيهـا المُخَـيَّمُ
وَلَكِنَّنَـا سَـبيُ العَـدوِّ فَهَـلْ تَـرى ... نَعُـودُ إلى أَوْطَانِنَـا ونُـسَلِّمُ
وَحـيَّ عَـلَى رَوْضَاتِـهَا وَخِيَامِهَـا ... وَحَـيَّ عَـلَى عَـيشٍ بِهَـا لَـيْسَ يُـسْأَمُ
وَحَـيَّ عـلى يَـوْمِ المَزِيـدِ الَّـذي بِـهِ ... زِيَـارَةُ رَبِّ العَـرْشِ فَـالْيَوْمُ مَوْسِـمُ
فَبَيْنَـا هُـمُ في عَيْـشِهِمْ وَسُرُورِهِـمْ ... وأَرْزَاقُهـم تَجْـرِى عَلَـيْهِم وَتُقْـسَمُ
إذَا هُـمْ بِنُـورٍ سَـاطِعٍ قَـدْ بَـدَا لَهُـمْ ... وَقَـدْ رَفَعُـوا أَبْـصَارَهُمْ فَـإذَا هُـمُ
بِرَبِّـهِمُ مِـنْ فَـوْقِهِم قَائِـلٌ لَهُـمْ ... سَـلامٌ عَلَـيْكُم طِبْـتُمُ وَنَعِمْـتُمُ
يَقُولُ : سَـلُونِي مَـا اشْـتَهَيْتُم فَكُـلُّ مَـا ... تُرِيـدُونَ عِنْـدِي إنَّنِـي أَنَـا أَرْحَـمُ
فَقَـالُوا جَمِيْعَـاً: نَحْـنُ نَـسْأَلُكَ الرِّضَـا ... فَأَنْـتَ الَّـذي تُـولِي الجَمِيـلَ وَتَـرحَمُ
فَيُعْطِـيهِمُ هَـذَا وَيُـشْهِدُ جَمْعَهُـم ... عَلَيْـهِ -تَعَـالَى اللهُ- فَـاللهُ أَكْـرَمُ(٢٦١)
فَبِـالله مَـا عُـذْرُ امْـرِىءٍ هُـوَ مُـؤْمِنٌ ... بِهَـذَا وَلاَ يَـسْعَى لَـهُ وَيُقَـدِّمُ
فَيَـا بَائِعَـاً هَـذَا بِـبَخْسٍ مُعَجَّـلٍ ... كأَنَّـكَ لا تَـدرْي، بَـلَى سَـوفَ تَعْلَـمُ
فَقَدِّم -فَـدَتْكَ الـنَّفسُ- نَفْسَك إنَّهـا ... هِـيَ الـثَّمَنُ المَبْـذُولُ حِـينَ تُـسَلِّمُ
فَـمَا ظَفَـرَتْ بِالوَصْـلِ نَفْـسٌ مَهِينَـةٌ ... وَلا فَـازَ عَبْـدٌ بِالبطَالَـةِ يَـنْعَمُ

---

(٢٦١) وتأمل قول الله عز وجل :M (* + , - . / 0 L القيامة: ٢٢ - ٢٣.

والحديث الذي رواه مسلم (رقم/١٨١) عن صهيب t عن النبي ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال : فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل) .

دُرر الحكم والوصايا
للشاعر أحمد شوقي

للشاعر أحمد شوقي[٢٦٢] قصيدة نفيسة في تكريم المعلم وبيان منزلته، والدعوة للأخلاق الفاضلة، وتتضمن القصيدة مجموعة بديعة من الوصايا والتوجيهات لشباب الأمة والمربين، وإليك مختارات منها نختم بها نفائس الوصايا الشعرية، فقد قال رحمه الله[٢٦٣]:

قُمْ للمعلِّمِ وفِّهِ التبجيلا ... كاد المعلمُ أن يكون رسولا[٢٦٤]

أعلمتَ أشرفَ أو أجلَّ مِن الذي ... يبني، ويُنشِىء أنفُساً وعقولا؟

وإذا المعلِّمُ لم يكن عدلاً، مشى ... روحُ العدالةِ في الشباب ضئيلا

---

(٢٦٢) أحمد شوقي، شاعر مصري يلقب بأمر الشعراء، جرى شعره على كل لسان، وديوان شعره (الشوقيات) يقع في أربعة أجزاء، وله كتب أخرى، توفي سنة ١٩٣٢م- (الأعلام ١/ ١٣٦).

(٢٦٣) ديوان الشوقيات – ١/ ١٨٠.

(٢٦٤) ولقد تغير حال المعلم ومكانته بين الناس، عندما ضيع كثير من المعلمين رسالة التعليم بتهاونهم وتشاؤمهم وأطماعهم الدنيوية، فهانت نفوسهم، وهانت الأمة بهوانهم، ونظمت قصائد شعرية كثيرة تعارض قصيدة شوقي في بيان هوان المعلم وتعاسته، منها قول الشاعر أحمد طوقان على لسان أحد هؤلاء المعلمين المتشائمين :

(شوقي) يقول، ومادرى بمصيبتي: ... قم للمعلم وفِّه التبجيلا

اقعد فديتك، هل يكون مبجلاً ... من كان للنشء الصغار خليلا؟

لو جرَّب التعليم (شوقي) ساعةً ... لقضى الحياة شقاوة وخمولا

ويصدق على أمثال هؤلاء قول الإمام الجرجاني

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما

(ينظر : الهمة العالية في حياة المعلم – للمؤلف)

obeikandl.com

وإذا المعلِّـم سـاءَ لحـظَ بـصيرةٍ ... جاءت على يده البصائرُ حُـولا[٢٦٥]

وإذا أتى الإرشادُ من سبب الهـوى ... ومـن الغـرورِ، فَـسمِّه التـضليلا

وإذا أُصـيب القـومُ في أخلاقهـم ... فـأقِمْ علـيهم مأْتمـاً وعـويلا

وإذا النـساءُ نـشأَن في أُمِّيـةٍ ... رَضَـع الرجـالُ جهالـةً وخمـولا

لـيس اليتـيمُ مـن انتهـى أبـواهُ مـن ... هَـمِّ الحيـاةِ، وخلَّفـاهُ ذلـيلا

إنَّ اليتـيم هـو الـذي تَلقـى لـه ... أُمـاً تخلَّـتْ، أَو أَبـاً مـشغولا

* . * . *

قل للشباب : اليومَ بُـورك غرسُـكم ... دنـت القطـوفُ ، وذُلِّلَـتْ تـذليلا

مـا أبعـدَ الغايـاتِ !! إلا أننـي ... أجـدُ الثبـاتَ لكـم بهـنّ كفـيلا

فَكِلـوا إلى اللهِ النجـاحَ، وثـابروا ... فـالله خـيرٌ كـافلاً ووكـيلا

(٢٦٥) الحول: جمع حولاء، وهي: مَنْ في عينها حول، والحول: إقبال الحدقة على الأنف، وهو عيب ومرض.